غرامشي والغرامشية في الفكر العربي المعاصر
بين الغياب والتغييب

م. م. محمود حسين موسى
كلية التربية الاساسية ـ الجامعة المستنصرية

مقدمة.

تعاني المجتمعات العربية اليوم من مشكلات مركبة ومعقدة، استبداد الدولة والتمزق الاجتماعي وافتقار التنمية والهيمنة الخارجية، ذهبت بالمجتمعات العربية الى المزيد من التفكك والانحلال، والعودة الى مرحلة ما قبل الدولة، فإهدار مئة عام من الثروات البشرية والمادية لم يكن من فعل السياسية وحدها، الفكر والثقافة ليست بريئة من هذه المأساة – الملهاة، بل هي شريكا أو شاهد زور، ساهمت في تضليل المجتمعات حين كانت في أحضان السلطة، أو أخذ الأجيال الى المهلكة حين كانت أحادية انتقائية تحسن الخطابة ببراعة، أو المساهمة في اقتطاع الصورة وتشويهها حين كانت أيديولوجية متحزّبة. وقد رفعت نكسة حزيران الغطاء عن المشكلات مرة واحدة، ظهرت بجلاء أزمة الفكر والثقافة وفشل المشروع الفكري في العالم العربي، سطوة الأيديولوجيا واضطراب الأولويات والانغماس بتأويلات وخطاب السياسة، الفكر الاشتراكي الذي كان له النصيب الأوفر من السجالات الفكرية وانعكاساتها السياسية والثقافية، وصل العالم العربي بنسخته السوفيتية التي تفوقت على كل التيارات والرؤى الفكرية التي لا تتسق معها وحجبتها، الغرامشية كانت المثال الأوضح على الانتقائية في الفكر العربي، وسطوة الأيديولوجيا والسياسة على الفكر وتطويعه.

يعود اختيارنا للغرامشية لحضوره المتجدّد في الفكر العالمي والعربي المعاصر، وتمتعه بالديمومة والبقاء من أرث الفكر الاشتراكي الذي مثلّته التجربة السوفيتية، وتجدّد الاطروحات الغرامشية باضطراد في الفكر العربي، مفهوم المثقف العضوي الذي صار رؤية وممارسة تنطبق على اليسار واليمين على حد سواء، المجتمع المدني، الهيمنة الثقافية، الكتلة التاريخية، وكذلك حضوره في السؤال المتجدّد عن (ما بعد ماركس) قبل وبعد سقوط التجربة الاشتراكية، وعن مستقبل الفكرة الاشتراكية وصداها في العالم العربي، فما زالت القوى الاشتراكية في العالم العربي تعاند الاعتراف والتمسك بمفاهيم أسقطتها التجربة والتشبّث بمقولات متهالكة، والملفت هنا أن القوى الاشتراكية العربية ما زالت قائمة، في حين كانت القوى الاشتراكية العالمية في الغرب والشرق جريئة وشجاعة، قامت بحلّ نفسها بما فيها الحزب البلشفي الروسي.

أن البحث في تاريخ الأفكار لا يهدف الى تبنّيها، بقدر ما يسعى الى رصد ظروف تطورها في سياقها التاريخي، وانعكاسها الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، فالفكر والتاريخ في حركة مستمرة، برابطة دائرية لا خطية سببية كما يصفها المفكر محمد أراكون، ويبقى هلاميا يخرج عن مقاصد المستقبل اذا لم يقترن بالواقع واختباراته.

قسّم البحث الى أربعة محاور، يتناول الأول غرامشي الانسان والمفكر، والثاني خصص لأزمة الفكر العربي والتحولات الفكرية بعد نكسة حزيران، والثالث للحضور المتأخر لغرامشي في الفكر العربي، وخصص الرابع للمفاهيم الغرامشية.

أولا. غرامشي والغرامشية

ولد أنطونيو غرامشي في ٢٢ كانون الثاني ١٨٩١ في جزيرة سردينيا الايطالية، نشأ في أسرة فقيرة كبيرة، وعانى والحرمان وآلام المرض الذي لازمه حتى وفاته، وكانت سردينيا من البؤس والتخلف والأمية والفقر، وشهد القمع العسكري الذي تعرضت له سردينيا وأثرت في تبنيه للقضية القومية السردينية، في عام ١٩١١م حصل على الشهادة الثانوية والتحق بجامعة تورينو وانهى دراسته سنة ١٩١٤م وانتهت معها مرحلة تشكله الثقافي[١]، درس علوم اللغة ونبغ فيها، وفي الجامعة اتصل بعالم الفكر والثقافة، وتأثر بالأفكار الاشتراكية التي كانت رائجة، تعرف على الماركسية من خلال محاضرات أ.باسنتور وكان لابريولا له تأثير في تكوينه الفكري وهو أول من استخدم مصطلح فلسفة الممارسة، الذي استخدمه غرامشي في كراساته[٢].

كانت السنوات من ١٩١٤ حتى ١٩٢٨ تزدحم بالنشاط، كرس اهتمامه للعمل الصحفي والفكري والحزبي، سافر خلالها الى موسكو مندوبا لمؤتمر الأممية، عاد الى ايطاليا وأصبح نائبا في البرلمان، وكان قد اقترب أثناء الدراسة من الحركة العمالية التورينية وانتسب للحزب الاشتراكي، وقد بدأ حياته السياسية منذ تخرجه من الجامعة سنة ١٩١٤م وانخرط في النشاط الثوري، انتخب سكرتيرا للحزب الاشتراكي في تورينو سنة ١٩١٧م، أصدر صحيفة لنظام الجديد بعد خلافات مع قيادات الحزب وانحيازه للمجالس العمالية لتصبح صوتا للحركة العمالية[٣]، وبعد فشل محاولات اصلاح الحزب الاشتراكي، ساهم في انشقاق الجناح الشيوعي وتأسيس الحزب الشيوعي الايطالي سنة ١٩٢١م، وترأس الحزب للفترة ١٩٢٤-١٩٢٦م[٤].

سيطرت الفاشية على السلطة في ايطاليا وكان عام ١٩٢٦ حاسما في تطور الفاشية، صادرت ما تبقى من مظاهر الديمقراطية، كان غرامشي عضوا في البرلمان ورفض خطة أعدها رفاقه لتهريبه الى سويسرا وقال، (ان الربان ينبغي أن يكون آخر من يغادر السفينة الغارقة)، وشنت حملة اعتقالات وشكلت محكمة خاصة، كان غرامشي أول من قدّم اليها رغم كونه عضوا في البرلمان، وبناء على طلب المدعي العام الذي قال في مرافعته، (علينا أن نوقف هذا الدماغ عن العمل عشرين عاما)، حكمت المحكمة عليه بالسجن عشرين عاما وأربعة أشهر في ٤ يونيو ١٩٢٨[٥].

غرامشي المفكر. سيطر الفكر الاشتراكي على العالم الرأسمالي في عصر الثورات في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت نقطة التحول في الفكر الاشتراكي بعد الثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧م، وفرص التحول للاشتراكية في مجتمعات غير صناعية، وظهرت تيارات ومدارس متعددة في تفسير طرق الوصول الى الاشتراكية، وبرز السؤال الأخطر في الغرب الرأسمالي عن ضرورة الثورة ودور القوى الاشتراكية فيها، كما كانت الاشتراكية الدولية تنظّر لها من موسكو، في هذا المعترك السياسي والفكري ظهر غرامشي من قاع المجتمع الايطالي، تحصّن بتجربة فكرية وسياسية هائلة ومكثفة، منحته القدرة على وضع فلسفته ورؤيته الخاصة في فهم طبيعة الصراعات الاجتماعية والسياسية ودور المثقف فيها والحزب، هذه العبقرية أقلقت الفاشية وقررت ايقاف دماغه عن العمل كما قال المدعي العام في محاكمته، ويعتبر غرامشي أول المنظرين المجددين للماركسية بعد لينين، وفلسفته التي أسماها هو في الكراسات بفلسفة الممارسة، ناقش الأزمة العضوية للرأسمالية في الغرب والرد النظري على الثورة السلبية المتمثلة بالفاشية في الغرب، وعلى الدكتاتورية الشمولية التي بدأها ستالين بعد وفاة لينين[٦].

لم يكتب غرامشي كتاب كاملا، وما صدر له منذ عام ١٩٤٧ وحتى ١٩٧١ صدور الأعمال الكاملة، يعود لمقالات نشرها غرامشي منذ بداية نشاطه الفكري وحتى سجنه، تم جمعها من الصحف والمجلات[٧]. وتعتبر كراسات السجن هي مجمل ما أراد غرامشي قوله، في السياسة والثقافة والاجتماع، التي تعتبر أهم ما طرح حول الفكر الاشتراكي في فترة حرجة من تاريخ أوربا والعالم، ورغم الظرف الذي كان يعيش، إلا أنه استطاع الانتصار على هذا الظرف، وفجر التحدي للسجن والمرض طاقته الابداعية، وبلغت الكراسات ٣٣ كراسا، بدأ العمل بها منذ سنة ١٩٢٩ وحتى سنة ١٩٣٥م، قال عنها، (لقد كنت هذه الكراسات بؤرة حياتي الداخلية)، توفى في المشفى في ٢٧ ابريل ١٩٣٧م وتمكنت تاتيانا شقيقة زوجته جوليا من تهريب الكراسات من غرفته الى موسكو عن طريق الحقيبة الديبلوماسية[٨] .

كان تأثير الفيلسوف كروتشة واضحا في تكوينه الفكري، وقد أفرد غرامشي جانبا هاما من الكراسات لنقد فلسفته وموقفه من الماركسية، لكنه كان يقر بأهمية بعض اطروحاته التي استفاد منها في نقد الماركسية الأرثوذكسية[٩] .

ثانيا. أزمة الفكر العربي

فيما يمضي العالم الأول بالتمحور أكثر حول مركزيته والتمتع بمنجزات الحداثة وما بعدها، وتراكم الخبرات المعرفية والتكنولوجية، يبقى العرب على أطراف الدائرة أو في منطقة فقدان الوزن في آخر السلم الحضاري والمعرفي، فبعد أكثر من قرن من السجال الفكري وهيمنة الأيديولوجيا وخطابات السياسة، تعود الأسئلة التي شغلته لمئة عام من تجربة الدولة السايكوسبيكية، الجدل حول الدولة والأولويات بعد أفول العصر الأيديولوجي أو عصر التطرفات وتقادم مفاهيمه، وفشل المشروع التنويري العربي الذي

كشفت نكسة حزيران هشاشة الواقع الثقافي والسياسي العربي، ورغم تنوع الآراء والتوصيفات حول أسباب الفشل، لكن اعتراف الجميع بهذا الفشل كان المحرّض لمغادرة الأحادية والانتقائية، ومدخلا للبحث عن رؤى نقدية جديدة، تتناسب وتحديات الواقع العربي المعقدة والمركبة.

سطوة الأيديولوجيا. منذ دخول الشرق صحوة التنوير وسؤال الهوية والبحث عن الذات مع التوغل الغربي في الشرق وتعاظم العصر الكولنيالي، هيمنت على العقل العربي ثلاث أيديولوجيات (القومية والاشتراكية والدينية)، وما بينهما من تدرج وتداخل في الأولويات، والدوران حول محور الأيديولوجيا والتأرجح بين التجاذب والتصادم، والميول لأيديولوجيات السياسية وربط الفكر بها وتطويعه لخدمتها، التجربة الناصرية هي المثال الأوضح لسطوة الأيديولوجيا والتصادم بين التيارات المختلفة (القومي، الاشتراكي ، الديني)، ويثبت جورج طرابيشي بطلان الخطابات الأيديولوجية العربية، ويرى أن الانتقائية في الفكر العربي تشكل مجزرة للتراث، والتعسف في دراسته جعله مقطع الأوصال، وقضى على وحدته التاريخية والداخلية[١٠].

ويشكل غياب العقلانية في الفكر العربي احدى الصفات التي لازمت الثقافة والسياسة والاجتماع، ويرى المفكر عبد الإله بلقزيز أن الثقافة العربية تعيش التوتر والانقسام الحاد الى تيارين وخطابين، شأنها شأن المجتمعات العربية، ولم تستطع القراءة العقلانية المتوازنة أن تفرض فكرها ورواتها عن التراث والحداثة في وجه التقابل والتضاد (الأصالة والتغريب)، وقد اعتادت المجتمعات العربية العيش مع تيارات القديم والحديث في السياسية والاجتماع، دون أن تعثر على نقطة التوازن أو العقلانية[١١].
ويرى هاشم صالح بأن المجتمعات العربية تعيش المعركة الشرسة التي تتمثل بين قوى المحافظة وقوى التجديد، فلا يمكن لها الالتحاق بالأمم المتطورة دون فكر تنويري وانساني[١٢]، ويتساءل في كتابه الانسداد التاريخي عن أسباب فشل المشروع التنويري العربي وسقوط الأيديولوجيا، ويرى أن الواقع متقدم جدا على الفكر، بل أن الواقع في جهة والأيديولوجيا المحتضرة أو في طريقها للاحتضار في جهة أخرى، وهي لا تزال عقبة في وجه حركة التاريخ، ويرى أن العقبات تكمن في المحافظة الأيديولوجية[١٣].
ويقدم رؤية مشبعة بالتفاؤل انطلاقا من القضية العراقية التي يرى أنها تختزل المشكلات في العالم العربي، الركام العراقي الذي فجّر كل الأسئلة العربية دفعة واحدة، هو الذي سيؤدي لانطلاقة جديدة، هذه القراءة العميقة للواقع العربي فيها شهادة واضحة عن أزمة الفكر العربي، وتخلفه عن مجريات الواقع والعودة الى أسئلة البدايات[١٤]، ويرى أن المشكلة العراقية ستؤدي الى تفكيك الأيديولوجيا العربية بكل انغلاقاتها والعنف المخزون في أحشائها، وهنا المعركة هي التخلص من آثار ثلاثية مدمرة (الدولة الشمولية المتخلفة والارهاب والهيمنة الاجنبية)، مثلما كانت معركة انبثاق التنوير في أوربا[١٥].

نكسة حزيران (الصدمة والتحولات). كانت نكسة - حرب حزيران ١٩٦٧ نقطة تحول في مسار وبنية الفكر العربي، لما أحدثته من صدمة كبرى في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية، كشفت عريّ الأيديولوجيا وعقمها، وفشل الفكر العربي في انتاج

مشروع معرفي يساهم في ادراك طبيعة التجربة والأولويات ومآلاتها السياسية والاجتماعية، وهزّت بنتائجها الكثير من اليقينيات الفكرية والسياسية العربية، وكشفت بشكل فاضح تأخر البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع العربي، وأعادت الواقع الى مخاضات النهضة الأولى في القرن التاسع عشر، وكان من نتائج ذلك عودة الأسئلة النهضوية التي لم تتم الاجابة عنها، سؤال الدولة والحرية والديمقراطية والعلاقة مع الماضي، ويرى عبد الاله بلقزيز، أنه ليس من المصادفة أن تكون قضايا الدولة والتراث والديمقراطية الأكثر حضورا في الفكر العربي بعد النكسة[١٦] .

اهتز الفكر الاشتراكي أمام الأسئلة التي أثيرت حول التهافت خلف دوغمائية أيديولوجية الدولة الستالينية وماكنتها الدعائية الضخمة، هي الأخرى أصبحت في مرحلة التداعي والأفول وموضع تساؤل منذ الستينات، ويرجع أغلب المفكرين ظهور التيارات النقدية الجديدة التي خرجت من عباءة الأيديولوجيا والمضي في مشروعها الفكري الى صدمة النكسة، التي كشفت عن فشل مشروع الحداثة في السياسة والاجتماع والثقافة[١٧]، ومن المشكلات التي ابتلى فيها العالم الاسلامي كما يرى صالح انهيار الخط العقلاني وانتصار الخط الأرثوذوكسي الضيق والجامد[١٨].

ظهر عدد من المفكرين برؤى جديدة ومحاولات بناء مشروع جديد خارج الأطر التقليدية، ادوارد سعيد، عبد الله العروي، محمد عابد الجابري، محمد أراكون، حسن حنفي، صادق جلال العظم، الياس مرقص وغيرهم. واتضح التصادم بين التيارات الفكرية وظهور تيارات نقدية جديدة بعد النكسة وهزيمة الأيديولوجيا، وزاد من التحدي تخلف الأنظمة السياسية العربية الحاكمة وعجزها عن القدرة في تحديث بنيتها ووظيفتها بما يوافق تحديات العصر، وأخذ المجتمعات الى المزيد من التمزق واهتزاز فكرة الأمة والايمان بفكرة الدولة، ومهّد اشتداد الاستبداد والطغيان لعصر الفوضى الاجتماعية والحروب الأهلية، جعل الفكر العربي أمام اختبارات الواقع وتحدياته. ويعقد هاشم صالح مقارنة حول واقع المجتمعات العربية، يؤشر فيها الى الأولويات التي تعاني منها المجتمعات العربية، فما طرحه الفكر الأوربي قبل قرنين أو ثلاثة قرون هو الذي يشغلنا الآن، الظلم والتفاوت الاجتماعي، الاستبداد وغياب الحريات، الفقر والتعصب الديني، الجهل وضعف العقلانية، الرقابة والنشر وكيفية توصيل الأفكار، الخ[١٩].

التراث والمعاصرة. من أكثر القضايا التي شغلت مختلف تيارات الفكر العربي المعاصر هي قضية التراث، لكن التحول في كثافة الاطروحات كان بعد نكسة حزيران، ويعود ذلك لعودة الفكر المحافظ بعد هزيمة الأيديولوجيا، فقد ازدهر في السبعينات سؤال التراث في الفكر العربي المنتمي الى تيارات الحداثة، وأن الكثافة التي ظهرت فيها الدراسات التراثية لا يرى فيها عبد الاله بلقزيز أنها كانت من قبيل الصدفة[٢٠]. وتكشف السجالات الفكرية حول التراث والحداثة أو الأصالة والتجديد، وانشغال الفكر العربي في قضية التراث كان الأكثر حضورا في الفكر العربي المعاصر، من تيار مركزية التراث الى التيار الحداثوي الذي يقاطع التراث وما بينهما من تدرج، هذا ما يلخصه عبد السلام بنعبد العالي في توصيفه لمآلات هذا الصراع، (أن الفكر العربي لم يتمكن لا من تملك

التراث ولا من تملك الحداثة نفسها، هاهنا ربما كانت هناك ضرورة لعودة الجابري، ربما ليس كمثقف هاد، وإنما كطرف أساسي في نقاش لا يزال ضروريا ومفتوحا)[٢١].

ويرى هاشم صالح أن هناك مشكلة بنيوية في العقل العربي تحول دون ظهور فكر عميق، تتمثل في ضغط المجتمع المحيط بالمفكر وكذلك هيبة التراث، والاصطدام بهما محفوف بالمخاطر[٢٢]، ويرى الدكتور عبد الاله بلقزيز أن المجتمعات المأزومة هي الأكثر عناية بماضيها باعادة الانتباه اليه والتفكير فيه وقراءته، من أجل العثور عن أجوبة جاهزة، أو عن ما يمكّنها من صناعة أجوبة عن مشكلات حاضرها[٢٣]. ولا يمكن تحرير التفكير العربي في التراث من الاستقطاب الأيديولوجي دون البناء على قواعد البحث العلمي، عندها يكون التراث غرضه المعرفة لا التوظيف السياسي والأيديولوجي[٢٤].

ثالثا. غرامشي والغرامشية في الفكر العربي

وصلت النسخة العربية من الاشتراكية بعد الثورة الروسية ١٩١٧م، التي سرعان ما انتشرت بوصفها الفكر الحداثي والمجدّد، وارتباطها بفكرة الثورة والتحرر من هيمنة الدول العظمى وتوحش الاستعمار الذي تعاني منه المجتمعات العربية، وكذلك في التصورات عن الدولة البديلة المتخيّلة التي تزول فيها الطبقات، وتنتصر الطبقات الكادحة. لكن هذه النسخة كانت نسخة رسمية ستالينية بحكم ارتباطها بالفعل السياسي الذي كان الفكر أداته التفسيرية والتبشيرية، ومن الحقائق الملفتة في الفكر العربي المعاصر هو غياب الغرامشية لزمن طويل، ثم التهافت عليها، وأصبح غرامشي أكثر المفكرين الأوربيين حضورا في العالم العربي منذ الثمانينات، وهذه حقيقة ملفتة ثانية تضاف للاكتشاف المتأخر لغرامشي[٢٥].

والظاهرة الأثر غرابة هي تأخر وصول الغرامشية الى العرراق، رغم قوة التيارات الاشتراكية وحضورها السياسي والثقافي، وهنا يمكن القول أن الاتجاه الذي كان سائدا هو الذي تعرّف على الاشتراكية من خلال نسخته الرسمية السوفيتية وحسب، وتشبّع بها حتى باتت من اليقينيات والمقدّسات، وكانت كثافة الدعائية الجوغمائية تقف جدارا منيعا، وكذلك انعدام الفضاء الحر الذي منع تداول الفكر، ويمكن القول أن العراق هو الأكثر تأخرا بمعرفة غرامشي، على عكس بلدان شرق المتوسط وشمال افريقيا التي تعرفت عليه قبل العراق بنحو أربعين سنة، فلم أعثر على اشارات مباشرة سوى عند فالح عبد الجبار وهي تعود الى التسعينات، وقد أتاح له الاغتراب منذ أواخر السبعينات الاطلاع على الغارمشية، كانت حينها موضع نقاش في أوساط اليسار العربي في الثمانينات، وعثرت على رسالة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد يعود تاريخها الى سنة ٢٠٠٤ بعنوان (اشكالية المثقف عند غرامشي)، بمعنى أنها سجلت وأنجزت بعد سقوط الديكتاتورية، وهذا يأخذنا الى فضاء الحرية الفكرية المفقود في العراق، استبداد السلطة من جهة وهيمنة الحركات الاشتراكية ستالينية النزعة من جهة أخرى[٢٦].

الحضور المتأخر للغرامشية. ظلّ غرامشي مجهولا في العالم العربي طيلة خمسين عاما حتى سبعينات القرن العشرين، وغاب في أعمال أكثر المفكرين الاشتراكيين رواجا وانتاجا، ولا يوجد حتى رجوع مباشر اليه في أعمال متداولة ومعروفة لمفكرين مثل حسين مروة وصادق العظم والياس مرقص ومحمود أمين العالم وغيرهم[٢٧]، وتكشف دراسة هذه الظاهرة التي أجراها الطاهر لبيب على أن السبب يعود الى ارتباط القوى الاشتراكية في العالم العربي بالتيار الاشتراكي السوفيتي، أو تلك التي تدور بفلك الحزب الشيوعي الفرنسي (المغاربية)، انعكس على مجمل الفكر الاشتراكي[٢٨]، وهذا يفسر عدم وجود أي أثر لغرامشي في كتابات الأحزاب الشيوعية والاشتراكية العربية الموالية للاتحاد السوفيتي (السوري اللبناني التونسي الجزائري المغربي العراقي الخ)، بالرغم من حضور بعض العناصر الايطالية في بعض هذه الأحزاب، ويعزو الطاهر لبيب ظهور اسم غرامشي بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م الى الهزّات والخيبات في بنى الحركات الاشتراكية العربية التي حرّضت وسمحت لفكر اشتراكي نقدي متحرر من الأطر الرسمية بالظهور والتصدي للدوغمائية الستالينية[٢٩].

ويقدم فالح عبد الجبار تفسيرا لأزمة الفكر الاشتراكي وانعكاسه على الفكر العربي، وهو لا يبتعد فيه عن تفسير الطاهر لبيب، ويرى (أن التقسيم المبسط للنظرية الماركسية والاجابة الجاهزة والجامعة للماركسية الذي تربت عليه أجيال وأجيال من الماركسيين، هو تقسيم اعتباطي وزائف، هذا القول سيصدم الكثيرين كما يقول عبد الجبار، وهو تقسيم ثبتتّه الأدبيات الماركسية السوفيتية الستالينية والتي اعتبرت بمثابة المقدس الذي لا يجب يمس)[٣٠].

ظهور غرامشي عربيا. بتتبع ظهور غرامشي في الفكر العربي المعاصر وجدنا أنه ظهوره في الفكر العربي تمّ على مراحل، قسمناها موضوعيا الى أربع مراحل لايضاح تاريخية الحضور الغرامشي، ظهر أولا في اشارات واستشهادات عند بعض المفكرين، عند المفكر عبد الله العروي في هامش كتابه (الايديولوجية العربية المعاصرة) سنة ١٩٦٧، وبعده يستشهد أنور عبد الملك ١٩٧٠ في كتابه (الفكر العربي السياسي المعاصر) استعار جملة واحدة في كتابه حيث قال: (يبدو أن اطروحات غرامشي حول المثقفين لم يتضح صدقها مثلما اتضح في العالم العربي اليوم) ، وبعده يظهر عند هشام شرابي ١٩٧١، المفكر مهدي عامل الذي استخدم المفاهيم الغرامشية في السبعينات، الهيمنة، الكتلة التاريخية، المتقف الجماعي، العمل اليدوي، العمل الفكري الخ، لكنه لم يذكر غرامشي صراحة، وهذه الحالة التي يسميها المفكر الطاهر لبيب الاستيحاء أو الاقتراب من غرامشي في الفكر العربي أو الغرامشية غير المعلنة.

يدلّ هذا التسلسل في الحضور الغرامشي في الفكر العربي على وصول غرامشي الى العالم العربي قبل وصول فكره، الذي ترجم لاحقا في السبعينات، (الأمير الحديث - قضايا المادية التاريخية - دراسات مختارة- المجالس العمالية والمنتخبات)، وظهور لاحقا ترجمات لثلاثة مؤلفات عنه بين سنتي ١٩٧٥ و ١٩٨٤ ، (فكر غرامشي السياسي لبيوتي - غرامشي لبوزوليني - غرامشي والشيوعية الايطالية لكاميت)[٣١].

بدأت المرحلة الثانية من التعرف بغرامشي حين صار يتسرب منذ أواسط السبعينات بصورة مجتزأة، في المشرق العربي كان الاحتفاء بغرامشي الأيديولوجي والمناضل الفذ، أما المغاربة كانوا أول من أغرتهم المغامرة الغرامشية ولم يخرجوا منها حتى الآن حسب المفكر الطاهر لبيب، وقد تسلل غرامشي بشكل فعلي عن طريق الدروس الجامعية واعتماد بعض كتبه كمراجع أساسية[٣٢]، وتناول محمد برادة مفهوم المثقف العضوي في كتاب صدر عام ١٩٧٩م عن محمد مندور، وتناول سمير أمين في نفس السنة أطروحات غرامشي حول المسألة الجنوبية والتطور اللامتكافئ شمال وجنوب في كتابه الطبقية والأمة[٣٣].

أما المرحلة الثالثة فهي انتشار المفاهيم الغرامشية وتداولها بشكل كبير منذ الثمانينات في الأدبيات العربية، مثل المجتمع المدني، الكتلة التاريخية، المثقف العضوي، الهيمنة الثقافية، نذكر هنا استخدام المفكر محمد عابد الجابري مفهوم الكتلة التاريخية الغرامشية في أول الثمانينيات، بعد استشعاره المخاطر الجدية التي يمر بها العالم العربي سياسيا وثقافيا[٣٤].

وتبدأ المرحلة الرابعة هي منذ منتصف التسعينات وحتى اليوم، شهد الفكر العربي فيها انتقالات نوعية وهامة في تداول الغرامشية، في متناولنا اليوم العشرات من الدراسات والأبحاث العربية المتخصصة بالمفاهيم الغرامشية في العالم العربي أنجزت في العقدين الأخيرين، وتخصصت مؤلفات وأبحاث ورسائل وأطاريح جامعية في المثقف الغرامشي العضوي، المجتمع المدني، فلسفة غرامشي السياسية، الهيمنة الثقافية، والكتلة التاريخية، الخ.

ما بعد ماركس. أصبح مفهوم ما بعد ماركس شائعا منذ ستينات القرن العشرين، وتصاعد تداوله في الاطروحات الفكرية بعد انهيار التجربة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والعالم الاشتراكي، وتتعدد الرؤى العربية والمقاصد حول ما بعد ماركس، ويرى عبد الله العروي أن تعدد التيارات والرؤى الماركسية في العالم حقيقة لا يمكن تجاوزها، لكن العالم الثالث نقطة التوحيد والتأصيل، وإن ماركس الأيديولوجي سيبقى حيا ما دامت هناك بقية متأخرة في العالم[٣٥]. وظهرت مؤلفات عديدة حول هذا المفهوم يصعب استعراضها، لكن سأكتفي باطروحات مفكرين ماركسيين، منها النقدية ومنها ما يروم الى اعادة انتاج التجربة بأدوات جديدة متماشية مع روح العصر ومفاهيمه، وتحضر الاطروحات الغرامشية في أعمال كريم مروة وفالح عبد الجبار من خلال النقد والتحليل لفشل التجربة الاشتراكية.

يقتبس كريم مروة نصوصا لغرامشي من كراسات السجن بجانب نصوص لمفكرين اشتراكيين آخرين، ماركس وانجلز ولينين وبليخانوف في كتابه نحو نهضة جديدة لليسار العربي، وهي محاولة لبناء تصورات جديدة للاشتراكية وتجديد الفكر بعد انهيار التجربة الاشتراكية، ومحاولة لمعرفة الأسباب التي أدت الى هذا الانهيار كما يقول هو[٣٥]، أما فالح عبد الجبار كان أكثر وضوحا وجرأة في تحليل ونقد التجربة اللينينية، ويرى أن النموذج الذي بناه لينين هو نموذج رأسمالي حكومي، سار باتجاه قيام

دولة بيروقراطية مركزية مستبدة تفتقر الى أي معلم ديمقراطي، تجمع كل السلطات وتهيمن على انتاج الثقافة، كما كان تصور بليخانوف وغرامشي، انهار هذا النموذج تحت وطأة التناقضات المستحكمة، انها راسمالية مشوهة[٣٦].

فالح عبد الجبار والغرامشية الجديدة. أعود لفالح عبد الجبار الذي تؤشر مؤلفاته التي صدرت تباعا منذ منتصف التسعينات الى نهج نقدي للفكر الاشتراكي، وتعاطيه مع موضوعات كانت في صلب الفكر الغرامشي، المجتمع المدني، الهيمنة الثقافية، نقد التجربة الاشتراكية اللينينة، ومفهوم الثورة التي يشارك غرامشي في نقدها، ظهر في التأليف والنقد الحاد بعد سقوط المنظومة الاشتراكية، مؤلفه الضخم (ما بعد ماركس) هو عصارة نقدية لمجمل الفكر الاشتراكي، وما خلفتّه من تجربة كان مكتوب عليها الفشل والانهيار، يفنّد فيه الرؤية اللينينة بمناقشته كتاب لينين (الدولة والثورة)، ويرى (أن أهميته تكمن في انعدام أهميته النظرية أو العلمية، فهو(كتاب لينين) لا يزيد عن تلخيصات لأقوال ماركس وانجلز بشأن الدولة[٣٧]، ويذهب عبد الجبار بعيدا بالقول لأخذ العبرة التي كان ثمنها قرن من أعمار أجيال ودماء عشرات الملايين، (تثبت تجربة أكتوبر بالملموس ما هو الطريق الخاطئ الذي لا يتوجب علينا اتباعه، أقول هذا وأنا مدمى القلب، لأن شعوب الاتحاد السوفيتي تحملت أعباء دمار الحرب الأهلية وخراب حربين عالميتين، وهكذا تقول لنا الثورة الروسية ما لا ينبغي عمله، وما لا ينبغي السير عليه)[٣٨] ، ويعود هنا للرؤية الغرامشية المبكرة بنقد فكرة الثورة، (هناك اعتراض المفكر العملاق غرامشي الذي أكد أن الثورة الروسية هي ثورة مخالفة لرأس المال، أي ضد منطق ماركس الوارد في كتابه رأس المال)، باعتبار روسيا البلد الأفقر والأقل تطورا في أوربا[٣٩]، ويضيف في تحليل ما انتهت اليه التجربة الاشتراكية، أن مهمة نقد الراسمالية مهمة راهنة وهي أساس استمرار الفكرة الاشتراكية ما بعد ماركس، وان الصورة النظرية للاشتراكية التي نعرفها إما مشوهة (النسخة السوفيتية الرسمية) أو ناقصة كما تركها لنا ماركس مفتوحة، وهذا جانب مهم في نظرية ماركس، على العكس من خوف ستالين والستالينية منه، جعلته مغلقا مكتملا مكتفيا بذاته انتهت به الى الانغلاق والتحلل[٤٠].

رابعا. المفاهيم الغرامشية في الفكر المعاصر

عند استعراض الحضور الغرامشي في الأدبيات العربية، نجد دون عناء حضورا متصاعدا خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وباتت هذه المفاهيم الغرامشية عناوين لعشرات المؤلفات والأطاريح والرسائل المتخصصة في مفهوم من المفاهيم الغرامشية، المثقف العضوي، المجتمع المدني، الكتلة التاريخية، الهيمنة الثقافية، ويعود هذا الحضور المكثف للمفاهيم الغرامشية في الفكر العربي مؤخرا لسببين حسب ما نرى، الأول يكمن في محاولات البحث عن أسباب جوهرية لانهيار التجربة الاشتراكية وتداعي المفاهيم المقدسة السابقة، والثاني يعود لديمومة الاطروحات الغرامشية باعتبارها الممثل الحقيقي للمدرسة النقدية الاشتراكية، أن العامل المشترك بين جميع هذه المفاهيم هو مركزية

المسألة الثقافية، وتصوره لدور المثقف في التحولات الاجتماعية ومهمته في الاصلاح الفكري، وصياغة مفاهيم جديدة والارتقاء بالحس المشترك عبر الممارسة النقدية[٤١].

الكتلة التاريخية. يرتبط مفهوم الكتلة التاريخية بغرامشي الذي وظف جهوده الفكرية والسياسية لجمع الشتات السياسي والاجتماعي والثقافي الايطالي في ارادة جماعية واحدة، تعبر بالأمة الى الخلاص من التمزق والأزمات التي كانت تعانيها ايطاليا مطلع القرن العشرين، وتوحيد الجهود لتغليب مصلحة الأمة، وكانت أطروحته لفكرة الكتلة التاريخية في فترة مضطربة من تاريخ ايطاليا المنقسمة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا، بين شمال صناعي متطور وجنوب زراعي متخلف وما نتج عنه من طبقات متصارعة، من أجل وحدة وطنية تجمع مكونات المجتمع المدني في بنية جديدة لا تستبعد البنية القديمة، تتجاوز كل التناقضات الاجتماعية والأيديولوجية في مواجهة الأزمة، وهو ما عبر عنه بمفهوم الكتلة التاريخية[٤٢]، وكانت مساعيه متوجهة نحو تحويل جهود الأحزاب والقوى الوطنية من التمرد السلبي الى الارادة الجماعية، كان يرى أن الحل يكمن في صياغة كتل جماعية متجانسة بين مثقفيها ونخبها السياسية، للحفاظ على وحدة الأمة الايطالية والعمل على انجاز نهضة شاملة، باشتراك كل التيارات الاجتماعية والسياسية والثقافية بما فيها الكنيسة[٤٣].

أن أول من تنبه لاطروحة الكتلة التاريخية في العالم العربي وتبنّاها حسب علمنا، هو المفكر المغربي محمد عابد الجابري مطلع ثمانينات القرن الماضي، من خلال المقارنة بين أوضاع العالم العربي الممزق مع أحوال ايطاليا بداية القرن العشرين، واقترح بتبني الفكرة الغرامشية الكتلة التاريخية بعد تبيئتها وتكييفها مع الوضع العربي، هذه المقارنة لم تلقى استجابة في أوساط النخب العربية بسبب التعصب الأيديولوجي، والانقسامات الحادة وهيمنة الثقافة السياسية المتطرفة والمتصادمة[٤٤]، من هذا الواقع الممزّق ظهرت فكرة الكتلة التاريخية عربيا مطلع الثمانينات، وهي استدعاء للدعوة الغرامشية وقراءة مبكرة تحسب للجابري لمستقبل الواقع العربي الذي كان يمضي نحو المزيد من الانقسام الايديولوجي والسياسي والاجتماعي الحاد، وانتصار قيم البداوة الاجتماعية. وبعد مضي نحو أربعة عقود على استشعار الجابري لانحدار المجتمعات العربية وتبنيه للكتلة التاريخية، تعود اليوم فكرة الكتلة التاريخية في التداول الفكري والسياسي كمخرج لهذا للواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية، وهي ما زالت تتأرجح بين التجاهل والقبول.

الكتلة التاريخية الاتحاد الحضاري. خرجت الفكرة الغرامشية (الكتلة التاريخية) من المفاهيم المحلية الى فضاء أوسع وفق ما نرى، المثال هنا هو افتراضنا بتشكّل كتلة أو اتحاد بين دول مختلفة أيديولوجيا وثقافيا وسياسيا، الصين وروسيا وايران في مشروع واضح الرؤية والأهداف، كتلة متماسكة صلبة تواجه تحديات الهيمنة الغربية وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والثقافية، وهو التطبيق الواقعي في التحالف العميق في مشروع واضح الرؤية والأهداف، مختلف عن ما عرفناه في التحالفات السياسية والاقتصادية، لمواجه تحديات مشتركة في كتلة دولية تصارع الهيمنة الغربية وتأثيراتها

السياسية والاقتصادية والثقافية، هذا الاتحاد المصيري تحول الى حقيقة في الواقع بمرور الزمن والتحديات، ومنافس معترف به، يزداد تماسكا وصلابة والقدرة على النمو والتطور الجماعي.

ان حاجة الواقع العربي الملحة اليوم لكتلة تاريخية تنقذه من التمزق، تستدعي وعيا استثنائيا من النخب السياسية والثقافية لدورها التاريخي بخلق ارادة جماعية، يحتضنها المجتمع وتتحمل مسؤولياتها التاريخية بجمع الشتات والقفز فوق المصالح الحزبية والفئوية والقومية والمذهبية والأيديولوجية. هذا يتطلب اعادة النظر بمفهوم الكتلة التاريخية، وتفحص شروطها والتحديات المركبة في العالم العربي، تخلف بناء الدولة ومؤسساتها التي تمضي نحو التآكل والانحلال والحروب الأهلية، الافتقار للتنمية وتمزق المجتمعات، الهيمنة الخارجية السياسية والاقتصادية والثقافية.

خاتمة

بعد هذا العرض يمكن القول بأن غرامشي كان المفكر الأكثر نضجا في فهم النظرية الماركسية، والأنضج في فهم التطور التاريخي للمجتمعات الرأسمالية وفرص الانتقال الى الاشتراكية وشروطه، وبعد مئة عام على اطروحاته الفكرية والسياسية يجري اليوم الاعتراف بعلميّة هذه الاطروحات وصدقيّتها، فتحت الباب لظهور مدارس فكرية نقدية جديدة، وبعد مئة عام على ثورة أكتوبر يتجدّد السؤال حول المفهوم اللينيني للاشتراكية، ومفهوم الثورة وحرق المراحل الذي بُنيت عليه التجربة السوفيتية والعالم الاشتراكي في مجتمعات فلاحية، هي الأقل تطورا في أوربا، بمعنى هل كانت تصلح البلاد الروسية للتجربة الاشتراكية كما نظّر لها لينين أم كانت تجربة مغامرة وقسرية.

وكما عاش غرامشي صراعا مريرا وشرسا مع المرض الذي لازمه طوال حياته، عاش صراعا فكريا أشد منه مع التيارات المتطرفة، مع اليمين المتطرف الذي ظهر في الفاشية الايطالية من جهة، ومن جهة أخرى مع التيارات الاشتراكية المتطرفة الذي أخذت ماركس الى حيث تريد، لبناء تجربة اشتراكية قسريّة حملت في طياتها أسباب زوالها، وبين هذين التيارين المتطرفين وما بينها من تدرّجات فكرية وسياسية، كان غرامشي يختطّ مفاهيمه الفكرية من خلال قراءته الثاقبة للواقع ورؤيته الموضوعية لطبيعة الصراعات فيه. ويمكن القول أيضا بأن الغياب الغرامشي عن الفكر العربي أو التغييب، كان مثالا صارخا للتعسف الفكري للحركة الاشتراكية العالمية التي كانت تقودها الماكنة الستالينية، ومثالا للانتقائية في الفكر العربي المعاصر، يشابه التعامل مع قضايا التراث التي انهال عليها الفكر منذ السبعينات.

شطر الفكر الاشتراكي العالم طيلة القرن العشرين الى نصفين، ولم يكن العالم العربي بمعزل عن هذه الحركة العالمية، وقد وصل الفكر الاشتراكي بنسخته اللينينية الستالينة منذ عشرينيات القرن العشرين، لكنه ظل يدور في الفلك الستاليني التي استطاعت ماكنته الدعائية حجب أو اسكات كل الأصوات النقدية أو تحييدها، وكانت الانتقائية صفة لازمت الفكر الذي غمرته الرؤية الستالينية لزمن طويل. وكما فجّرت نكسة حزيران أسئلة كثيرة مؤجلة في السياسة والاجتماع، حرّضت الفكر العربي للبحث في رؤى نقدية جديدة، من هنا بدأ اكتشاف الغرامشية المتأخر، والتهافت عليه ليكون الحاضر الأهم في الفكر العربي في العقود الأخيرة.

استمر الحصار على غرامشي في العالم الستاليني، فلم تظهر الكراسات الغرامشية التي هُرّبت الى موسكو واحتوت عصارة فكره كما يقول هو، ولم يفرج عنها حتى الستينات، وكل ما نشر قبلها هو مقالات كان ينشرها في الصحف والمجلات قبل سجنه سنة ١٩٢٨م، ومن غير المعروف إن تمت الغربلة لهذه الكراسات التي ناقش فيها كل القضايا، بما فيها مصير التجربة السوفيتية التي كان يعارض البناء القسري للاشتراكية ومفهوم الثورة اللينينية.

وقد ارتبط غياب الغرامشية عن الفكر العربي ببنية الثقافة العربية الانتقائية، وهيمنة الخطاب الأيديولوجي، ويرتبط التهافت على الغرامشية بعد الاكتشاف المتأخر بانهيار التجربة الاشتراكية ومحاولات تفسير أسباب هذا الانهيار. وإن ظهور تيارات اشتراكية تختلف في رؤيتها مع التجربة السوفيتية اعتمد على الاطروحات الغرامشية، وتزايد الجدل بعد انهيار التجربة الاشتراكية وما انتهت اليه التجربة من استبداد الدولة وتخلف البنى السياسية والاقتصادية، جعل العودة للغرامشية بمثابة تقويم للفكر الاشتراكي.

قائمة المراجع

- حيدر علي محمد، رسالة غير منشورة، اشكالية المثقف عند غرامشي، اشراف مدني صالح، جامعة بغداد كلية الآداب قسم الفلسفة ٢٠٠٤
- سالنياري، كارلو. و سبينيلا، ماريو. فكر غرامشي مختارات ج١، ت. تحسين الشيخ على ، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٦
- سميث، جيوفري نويل و هور، كينتين. غرامشي وقضايا المجتمع المدني، ت. فاضل جكتر، دار كنعان، دمشق ١٩٩١
- عبد الاله بلقزيز، نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٤
- عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، ط٥، الدار البيضاء ٢٠٠٦
- عبد السلام بنعبد العالي. مقال الحنين الى المثقف الهادئ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مايو ٢٠١٥، mominon.com/articles
- عبد العزيز الخال. مفهوم الكتلة الديمقراطية عند غرامشي، مركز نماء للبحوث والدراسات، أوراق نماء ١١٨، المغرب د.ت
- غرامشي، أنطونيو. كراسات السجن، ت. عادل غنيم، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٩٤
- فالح عبد الجبار. ما بعد ماركس، دار الفارابي، بيروت ٢٠١٠ ، كريم مروة، نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي، در الساقي، لندن . د. ت
- محمد عابد الجابري، مجلة المستقبل العربي عدد توفمبر ١٩٨٢ ، من مقال موجود في الرابط على موقع صفحة الجابري، www.aljabriabed.net/pouvoir_usa_islam_٤.htm
- ميشيل بونديو. و طاهر لبيب. جرامشي في العالم العربي، ت. كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢
- هاشم صالح. الانسداد التاريخي، دار الساقي، لندن ٢٠٠٧

الهوامش

١. كارلو سالنياري و ماريو سبينيلا، فكر غرامشي مختارات ج١، ت. تحسين الشيخ على ، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٦، ص ١٨-٢٠
٢. أنطونيو غرامشي. كراسات السجن، ت. عادل غنيم، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٩٤، ص ٨-٩
٣. كارلو سالنياري و ماريو سبينيلا، فكر غرامشي، ص ٢١- ٢٣
٤. أنطونيو غرامشي. كراسات السجن، ص ١٠
٥. المصدر نفسه، ص ١١
٦. المصدر نفسه، ص ٨
٧. كارلو سالنياري و ماريو سبينيلا، فكر غرامشي، ص ٨
٨. أنطونيو غرامشي. كراسات السجن، ص ١١
٩. المصدر نفسه، ص ٩-١٠
١٠. هاشم صالح. الانسداد التاريخي، دار الساقي، لندن ٢٠٠٧، ص ٢٩٣-٢٩٤
١١. عبد الاله بلقزيز، نقد التراث، ص ٣١
١٢. هاشم صالح. الانسداد التاريخي. ص ١٠٥-١٠٧
١٣. المصدر نفسه، ص ١٠٣-١٠٥
١٤. المصدر نفسه، ص ١٠٣-١٠٥
١٥. المصدر نفسه. ص ١٠٣-١٠٥
١٦. عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص ٣١-٣٢
١٧. المصدر نفسه، ص ١٣٨
١٨. صالح، هاشم. الانسداد التاريخي. ص ٣١١
١٩. المصدر نفسه. ص ٣٠٩
٢٠. عبد الإله بلقزيز، نقد التراث، ص ٣٠
٢١. عبد السلام بنعبد العالي. مقال الحنين الى المثقف الهادئ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مايو ٢٠١٥، mominon.com/articles
٢٢. صالح، هاشم. الانسداد التاريخي. ص ٢٦١
٢٣. عبد الإله بلقزيز، نقد التراث، ص ١٩-٢٠
٢٤. المصدر نفسه، ص ٣٥
٢٥. ميشيل بروندينو. وطاهر لبيب. جرامشي في العالم العربي، ت. كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٤
٢٦. حيدر علي محمد. إشكالية المثقف عند غرامشي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة، اشراف مدني صالح، ٢٠٠٤
٢٧. جيوفري نويل سميث و كينتين هور. غرامشي وقضايا المجتمع المدني، ت. فاضل جكتر، دار كنعان، دمشق ١٩٩١، ص ١٦٦ ، هذ الكتاب هو أبحاث ندوة القاهرة

سنة ١٩٩٠، والمرجع هنا هو بحث للمفكر الطاهر لبيب بعنوان غرامشي في الفكر العربي، وسأشير باسم الكتاب عند الرجوع اليه لوجود كتاب آخر يحمل نفس عنوان بحث الطاهر لبيب. الباحث

٢٨. المصدر نفسه، ص ١٦٦
٢٩. المصدر نفسه، ص١٦٥- ١٦٦
٣٠. فالح عبد الجبار. ما بعد ماركس، دار الفارابي، بيروت ٢٠١٠، ص ٥٧-٥٨
٣١. جيوفري نويل سميث و كينتين هور. غرامشي وقضايا المجتمع المدني، ص ١٦٥-١٦٩
٣٢. المصدر نفسه، ص ١٦٩
٣٣. المصدر نفسه، ص ١٧٠
٣٤. محمد عابد الجابري، الكتلة التاريخية، مجلة المستقبل العربي عدد توفمبر ١٩٨٢، من مقال للجابري منشور على موقع صفحته في الرابط، www.aljabriabed.net/pouvoir_usa_islam_٤.htm
٣٥. عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، ط٥، الدار البيضاء ٢٠٠٦، ص ٢٠٣
٣٦. كريم مروة، نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي، در الساقي، لندن . د.ت ، ص ٧-٨
٣٧. فالح عبد الجبار، ما بعد ماركس، ص ٩٩-١٠١
٣٨. المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤
٣٩. المصدر نفسه. ١٠١-١٠٢
٤٠. المصدر نفسه، ص ٩٨
٤١. المصدر نفسه. ص ٦٠-٦١
٤٢. ميشيل برونديو و الطاهر لبيب، غرامشي في العالم العربي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٤
٤٣. عبد العزيز الخال، مفهوم الكتلة التاريخية عن غرامشي، أوراق نماء العدد ١١٨، مركز نماء للبحوث، المغرب د.ت، ص ٢
٤٤. المصدر نفسه، ص ١٠
٤٥. محمد عابد الحابري، الكتلة التاريخية، مجلة المستقبل العربي عدد نوفمبر ١٩٨٢ ، من مقال للجابري على موقع صفحنه في الرابط، www.aljabriabed.net/pouvoir_usa_islam_٤.htm